

## الفصل الخامس

### قرائن الوجه في الخداع

قد يكون الوجه مصدراً قيماً لمكتشف الكذب؛ لأنَّ الوجه يستطيع أن يكذب ويصدق ويفعلهما معاً عادة. يحتوي الوجه على رسالتين، هما: ما يريد الكاذب إظهاره وما يريد إخفاءه. كما تخدم بعض التعابير الكذب، فتقدّم معلومات غير صحيحة. ولكن غيرها يكشفه؛ لأنها تبدو مزيفة. كما قد تتسرّب أحياناً المشاعر على الرغم من المحاولات لإخفائها، وقد تحدث التعابير المزيفة المقنّعة في لحظة ما، ثمّ تتسرّب التعابير المخفية في اللحظة التي تليها. كما يمكن أن تظهر التعابير الصادقة والمزيفة في مختلف أجزاء الوجه في تعبير واحد مختلط، وأعتقد أنّ سبب إخفاق معظم الأشخاص في كشف الأكاذيب من الوجه تتمثل بعدم معرفتهم كيفية تمييز التعابير الصادقة من المزيفة.

تبدو تعابير العاطفة الصادقة ظاهرة للعيان؛ لأنّ حركات الوجه تستجيب لإرادياً، من غير تفكير أو قصد. أمّا المزيفة فتكون بسبب وجود سيطرة إرادية على الوجه، فتتيح للآخرين التدخل بالصادقة وافترض المزيفة. يُعدّ الوجه جهازاً ثنائياً يشتمل على التعابير المختارة إرادياً ولإرادياً، حتى من غير وعي الشخص أحياناً بما يظهر على وجهه. هناك أساس بين الإرادة والإرادة المشغولة بالتعابير التي تعلمها الشخص مرة وأصبحت فاعلة آلياً من غير اختيار، أو حتى على الرغم من وجود الاختيار ومن غير وعي في العادة.

تُعد تقاسيم الوجه المصطنعة، والعادات المزيّفة، التي تملّي على الشخص إدارة بعض التعابير، مثل عدم القدرة على إظهار الغضب تجاه رموز السلطة أمثلة على ذلك. لكنني سأوليّ جلّ اهتمامي في هذا المجال لكلّ من التعابير الإرادية، والمتعمّدة، والمزيّفة، التي صنّفت على أنّها جزء من التضليل من جهة، والتعابير اللاإرادية، والعفوية، والصادقة، والتي قد تسرّب المشاعر على الرغم من محاولة الكاذب إخفاءها من جهة أخرى.

تُظهر الدراسات التي أجريت على المرضى الذين يعانون أنواعاً مختلفة من تلف الدماغ كثيراً أنّ التعابير الإرادية واللاإرادية تعود إلى أجزاء مختلفة من الدماغ؛ فالمرضى الذين لديهم تلف في أحد أجزاء الدماغ، وبالتحديد في الجزء الذي يُسمى الأنظمة الهرمية العصبية، لا يستطيعون التّبسم إذا طُلب إليهم ذلك، ولكنهم يتسمون عند سماعهم طرفة، أو عند استمتاعهم بشيء ما. بالمقابل، يستطيع الأشخاص الذين يعانون تلفاً بجزء آخر من الدماغ؛ أي الأنظمة غير الهرمية، التّبسم إرادياً، ولكنهم جامدو الوجه عندما يستمتعون بشيء ما. ينبغي لمرضى تلف الأنظمة الهرمية الذين لا يستطيعون القيام بالتعابير إرادياً أن يكونوا قادرين على الكذب بوجوههم؛ لأنّ عليهم عدم تثبيط الوجه أو تقمّص التعابير المزيّفة. بالمقابل، ينبغي لمرضى تلف الأنظمة غير الهرمية، الذين لا يبدون تعابير عند شعورهم بالعاطفة، أن يجيدوا الكذب بتقاسيم وجوههم؛ لأنهم غير مضطرين إلى تثبيط التعابير العاطفية الصادقة<sup>(1)</sup>.

إنّ تعابير الوجه اللاإرادية للعاطفة هي نتاج النشوء. فضلاً على أنّ كثيراً من التعابير البشرية هي التعابير نفسها التي يمكن مشاهدتها على وجوه الرئيسيات، إضافة إلى أنّ بعض تعابير الوجه للعاطفة، أو على الأقل تلك التي تشير إلى السعادة، والخوف، والغضب، والاشمئزاز، والحزن، والكرب، وربما غيرها من العواطف - عالمية. وينطبق الشيء نفسه على العمر، أو الجنس، أو العرق، أو الثقافة<sup>(2)</sup>. وتُعدّ تعابير الوجه هذه المصدر الأغنى للمعلومات عن العواطف، وأنّها تكشف الفروق الدقيقة في المشاعر الآتية.

يستطيع الوجه كشف دقائق الخبرة العاطفية التي يستطيع الشاعر فقط التقاطها بالكلمات. ويبين الوجه كلاً مما يأتي:

- نوع العاطفة الصادقة؛ كالغضب، والخوف، والحزن، والاشمئزاز، والكرب، والسعادة، والقناعة، والبهجة، والمفاجأة، والاحتقار، والتي يمكن التعبير عنها بعلامات مميزة.
- تداخل عاطفتين معاً؛ ففي العادة تكون العاطفتان صادقتين، ويسجّل الوجه عناصر كلّ منهما.
- قوة العاطفة الصادقة؛ قد تتنوّع قوّة شدّة العاطفة؛ من الانزعاج إلى الغيظ، ومن الخشية إلى الرعب.

ولكن وكما ذكرت، فإنّ الوجه ليس مجرد نظام إشارات عاطفيّ لا إرادي؛ إذ يتعلم الأطفال في السنوات الأولى من عمرهم التّحكّم في بعض التعابير، وإخفاء المشاعر الحقيقيّة، وتزييف تعابير العواطف غير الصادقة. ويُعلّم الأهل أبناءهم التّحكّم في تعابيرهم بالقُدوة، وبصورة مباشرة أكثر باستخدام عبارات، مثل: لا تبدّ لي تلك النظرة الغاضبة. كن سعيداً عندما تعطيك عمّتك هدية. لا تكن ملولاً. وعندما يكبرون يتعلمون قواعد العرض جيّداً، بحيث تصبح عادات متأصلة، وبعد مضي بعض الوقت، تصبح قواعد عرض إدارة التعابير العاطفية فاعلة تلقائياً، وتتغيّر التعابير من غير خيار أو حتى إدراك، وحتى عندما يدرك الأشخاص قواعد العرض لديهم، لن يكون ممكناً دائماً، وليس سهلاً بالتأكيد، التوقّف عن القيام بها؛ فحال رسوخ أيّ عادة، بحيث تعمل تلقائياً، من غير حاجة إلى الإدراك، يصبح من الصعب التراجع عنها، وأعتقد أنّ التّراجع عن هذه العادات التي تُعنى بإدارة قواعد عرض العاطفة صعبٌ جدّاً.

تختلف قواعد العرض من ثقافة إلى أخرى. وهي المسؤولة عن انطباع المسافرين أن تعابير الوجه ليست عالميّة. عند مشاهدة اليابانيين للأفلام المثيرة للعاطفة، اكتشفت أنّ تعابيرهم لم تختلف عن التعابير التي يبديها الأمريكيان، بشرط أن يكون اليابانيون وحدهم. وعند وجود شخص آخر بموقع المسؤولية معهم في أثناء مشاهدة الأفلام، اتبع اليابانيون قواعد عرض مكنتهم من إلباس تعابير العواطف السلبية ابتسامه مهذّبة أكثر من الأمريكيان<sup>(3)</sup>.

وإضافة إلى عناصر التَّحَكُّم المعتادة التي تعمل إرادياً للتَّحَكُّم في تعابير الوجه، يستطيع الأفراد اختبار الإحساس بتعبير عواطفهم الحقيقيَّة، فيفعلون ذلك بإدراك تام، أو يزيِّفون تعبير عاطفة غير صادقة. وينجح معظم الأشخاص أيضاً في خداع الوجه، ويستطيع الجميع تقريباً تذكُّر حادثة ما ضلُّوا فيها تماماً بتعابير صادرة عن شخص آخر. ومع ذلك يمتلك الجميع تقريباً الخبرة المقابلة، ويدركون أنَّ كلمات أحدهم غير صحيحة من خلال النظرة التي لاحت على وجهه. في حين لا يستطيع الأزواج تذكُّر حادثة رأى فيها أحدهم عاطفة في وجه الآخر، وهي في العادة الخوف أو الغضب، وأنَّ الآخر لم يدرك أنها ظاهرة، وحتى أنه أنكر الإحساس بها. يعتقد معظم الأشخاص أنَّ لديهم القدرة على اكتشاف التعابير الزائفة، لكنَّ بحوثنا أثبتت عدم مقدرة معظم الأشخاص على ذلك.

في الفصل السابق، وصفتُ التجربة التي وجدنا فيها أنَّ الأشخاص غير قادرين على معرفة متى كذبت طالبات التمريض ومتى كنَّ صادقات. وجاء تقييم الذين اعتمدوا تعابير وجوه الطالبات فقط الأسوأ. فقيِّموهنَّ أنهنَّ الأكثر صدقاً، في حين كنَّ في الواقع كاذبات. لقد خدعتهم التعابير الزائفة، وتجاهلوا التعابير التي سرَّبت العواطف الحقيقيَّة. وعندما يكذب الأشخاص، تكون التعابير الأكثر وضوحاً، والتي يسهل مشاهدتها، وينتبه لها الآخرون أكثر، هي التعابير المزيفة عادة. ولكننا لا ننتبه غالباً إلى الإشارات التي تدلُّ على أنَّ هذه التعابير ليست حقيقية، وكذلك الإشارات الخاطفة الدالة على المشاعر الخفية.

لم يدرس معظم الباحثين قياس تعابير وجه الكاذب، وركزوا بدلاً من ذلك على السلوكات سهلة القياس، مثل حركات الجسم التوضيحية، أو أخطاء الحديث، والقلَّة منهم الذين قاسوا تعابير الوجه درسوا الابتسامة فقط، وقاسوها ببساطة بالغة. وجد هؤلاء أنَّ الأشخاص يبتسمون عادة عندما يكذبون أو يقولون الصدق. ولكنهم لم يحدِّدوا نوع الابتسامة؛ إذ لا تعدُّ الابتسامات جميعها واحدة. إنَّ تقنيَّتنا لقياس تعابير الوجه تستطيع تمييز أكثر من خمسين ابتسامة مختلفة؛ فعند كذب طالبات التمريض، وجدنا أنهنَّ ابتسمن بطريقة مختلفة عن ابتساماتهن عند قولهن الصدق. وسأصف هذه النتائج في نهاية هذا الفصل.

وبسبب وجود كثير من التعابير المختلفة، تجنّب المهتمون بالتواصل غير اللفظي والكذب قياس تعابير الوجه. ولعهد قريب، لم تكن هناك طريقة شاملة وموضوعية لقياس تعابير الوجه جميعها، وانطلقنا لتطوير تلك الطريقة؛ لأننا عرفنا بعد مراجعة الأشرطة التصويرية لطالبات التمريض اللواتي كذبن، أن كشف علامات الخداع في الوجه تتطلب مقاييس دقيقة، وقضينا عشر سنوات تقريباً في تطوير تقنية لقياس تعابير الوجه بدقة<sup>(4)</sup>.

هناك آلاف من تعابير الوجه التي يختلف كلٌّ منها عن الآخر. ولا شأن لكثير منها بالعاطفة، ويشكّل كثير منها ما نطلق عليه اسم إشارات التخاطب، وهي مثل حركات الجسم التوضيحية، تؤكد الحديث أو تقدّم جملة (مثل علامات استفهام الوجه أو علامات التعجب). وهناك أيضاً عدد من الحركات الرمزية مثل: غمزة العين، والحاجبين المرتفعين، وإرخاء الجفن العلوي، وتدوير الفم على صورة حذوة الحصان، ورفع أحد الحاجبين تشككاً. علاوة على أن هناك حركات الوجه المموّهة، مثل عضّ الشفتين، ومصّ الشفتين، ونفخ الوجنتين، وبعد ذلك هناك تعابير الوجه العاطفية الصادقة والمزيّفة.

ليس هناك تعبير محدّد لكل عاطفة، بل العشرات منها، ولبعض العواطف هناك مئات التعابير. لكل عاطفة مجموعة من التعابير، يختلف كل واحد منها عن الآخر بوضوح. هذا ليس غريباً. فليس هناك شعور أو تجربة لكل عاطفة، بل مجموعة من الخبرات. لنأخذ مثلاً مجموعة خبرات الغضب، يختلف الغضب في:

- الشدّة من الانزعاج إلى الغضب.
- مدى السيطرة عليه؛ من الصاحب إلى الشديد جداً.
- كم يستغرق من الوقت حتى يبدأ (زمن البدء)؛ من التوتر الشديد إلى الاستكانة.
- كم يستغرق من الوقت حتى ينتهي (زمن الغياب)؛ من السريع إلى البطيء.
- حرارته؛ من الساخن إلى البارد.
- أصالته؛ من الغضب الحقيقي إلى المزيّف؛ كالوالد المستمتع الذي يبدو كطفل مزعج.

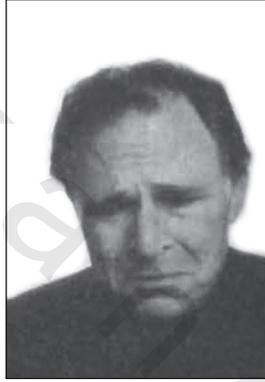
إذا تداخل الغضب مع عواطف أخرى - مثل الغضب الذي يستمتع به صاحبه، والغضب بسبب الذنب، وغضب الذي يدعي الاستقامة، وغضب الازدراء، فسيكون هناك أعضاء أكثر في مجموعة الغضب.

لا أحد يعرف حتى الآن ما إذا كانت هناك تعابير وجه مختلفة لتعابير الغضب المختلفة. شخصياً، وأعتقد أنّ هناك مزيداً منها؛ إذ، لدينا حتى الآن أدلة على وجود تعابير وجه أكثر من وجود مفردات عن أيّ عاطفة، وهي إشارات الوجه الدقيقة والفروق الدقيقة التي لا تبيّن اللغة في المفردات وحدها. منذ عام 1978 فقط، جرى العمل على بيان تصانيف تعابير الوجه، وتحديد عدد التعابير المرتبطة بكلّ عاطفة، والتي تكون عادة مترادفة، وتشير إلى حالات داخلية مختلفة، ومترابطة في الوقت نفسه. يعتمد بعض ما سأصفه من علامات الوجه على الخداع على دراسات منهجية باستخدام تقنية قياس الوجه، أو يعتمد بعضها على آلاف من الساعات التي قضيناها في مراقبة تعابير الوجه واختبارها. ما سأقدم في تقريرى هذا هو نتائج مبدئية غير نهائية؛ لأنه لم يتم حتى الآن علماء آخرون بمحاولة تكرار التجربة لمعرفة الفرق بين التعابير الإرادية واللاإرادية.

لنبدأ مع المصدر الأكثر إثارة لتسريبات الوجه؛ التعابير الدقيقة. توفر هذه التعابير صورة كاملة للعاطفة المخفية، ولكن ذلك يكون بسرعة بحيث يُغفل عنها. تومض التعابير الدقيقة في الوجه وتختفي في أقل من ربع ثانية. لقد اكتشفتُ التعابير الدقيقة في دراسة قرائن الخداع قبل عشرين سنة تقريباً. آنذاك، كنت أراجع مقابلة مصورة مع مريضة مضطربة نفسياً، وهي ماري التي ورد ذكرها في الفصل الأول، والتي كانت تخفي خطتها للانتحار. في الفيلم الذي صُوّر بعد بضعة أسابيع من دخولها المستشفى، تخبر ماري طبيبها أنّها لم تعد مكتئبة، وتستأذنه لقضاء بعض الوقت في بيتها ومع عائلتها، ولاحقاً اعترفت ماري أنّها كانت تكذب؛ لتتمكّن من الانتحار عند تحرّرها من إشراف المستشفى، وتقول: إنها لا تزال تشعر باستياء شديد.

أظهرت ماري عدداً من هزّات الكتف الجزئية، وزلات حركات رمزية، وانخفاضاً في الحركات التوضيحية، وبالإعادة البطيئة لعرض الشريط، لاحظنا تعبيراً دقيقاً بمنتهى الحزن على وجهها، ولكنه كان موجوداً للحظة فقط، وتبعه بسرعة مظهر تبسّم. تُعرف

التعابير الدقيقة أنها تعابير الوجه العاطفية الكاملة الخاطفة، وتستمر بجزء من وقتها المعتاد بسرعة كبيرة لدرجة عدم ملاحظتها، والشكل رقم 2 (انظر الصفحة التالية) يبيّن التعبير الحزين، وهو سهل التفسير؛ لأنّ الصفحة متوقّفة عليه. وإن تعيّن عليك رؤيته مدّة 1/25 من الثانية وتمّ اخفاؤه حالاً بتعبير آخر كما لو أنه تعبير دقيق، فيمكن أن تغفل عنه. بعد اكتشافنا التعابير الدقيقة، نشر باحثون آخرون اكتشافاتهم للتعابير الدقيقة قائلين: إنها نتيجة الكبت، وتكشف عن عاطفة غير مُدرّكة<sup>(5)</sup>. بالتأكيد، لم تكن العاطفة عند ماري غير مُدرّكة؛ فقد كانت مدرّكة إدراكاً مؤلماً؛ بالحزن الظاهر في تعابيرها الدقيقة.



الشكل 2

عرضنا مقتطفات تحتوي تعابير دقيقة من مقابلة ماري على بعض الأشخاص، وطلبنا إليهم الحكم على كيفية شعورها. فشل الأشخاص غير المُدرّبين؛ بسبب إغفالهم الرسائل الموجودة في التعابير الدقيقة، واعتقدوا أنّ شعور ماري على ما يُرام. لم يستطع هؤلاء التقاط الرسالة الحزينة إلا بعد مشاهدة الشريط بالعرض البطيء فقط. لكنّ الأطباء ذوي الخبرة لم يحتاجوا إلى العرض البطيء، فقد التقطوا الرسالة الحزينة من التعابير الدقيقة عندما شاهدوا الفيلم بزمن العرض الفعليّ.

استطاع معظم الأشخاص الذين تدربوا مدة ساعة تقريباً أن يتعلموا ملاحظة هذه التعابير الدقيقة؛ وضعنا غطاءً على عدسة جهاز العرض كي نستطيع عرض الشريحة مدّة قصيرة جداً. في البداية، عندما يومض التعبير مدّة 1/50 من الثانية، ادعى الأشخاص أنهم لم ولن يستطيعوا رؤيته، ولكنهم سرعان ما تعلموا القيام بذلك، وأصبح ذلك سهلاً

جداً لدرجة أنهم ظلّوا أننا أبطاناً في وضع الغطاء أحياناً، وبعد مشاهدة بضع مئات من الوجوه، استطاع الجميع معرفة العاطفة على الرغم من زمن العرض الفعلي. يستطيع أيُّ كان تعلّم هذه المهارة، من غير وجود خاصية التغطية، من خلال عرض صورة فيها تعبير الوجه بسرعه فائقة أمام أعينهم مباشرة. وعليهم محاولة تخمين العاطفة التي ظهرت في الصورة، ثمّ النظر بتمعّن في الصورة للتحقّق من التعبير الموجود. ومن ثمّ الانتقال إلى صورة أخرى، وعليهم ممارسة هذا التدريب على بضع مئات من الصور<sup>(6)</sup>.

التعابير الدقيقة مثيرة؛ لأنها على الرغم من ثرائها وتوفرها تسريهاً للعاطفة المخفية، فإنّها لا تحدث في كثير من الأحيان. لقد وجدنا القليل من التعابير الدقيقة في التجربة التي كذبت فيها طالبات التمريض، والأكثر شيوعاً هو عدم إظهار هذه التعابير؛ فحال ظهور تعبير ما، يظهر أنّ الشخص مدرك لما بدأ بالظهور، فيعمل على عدم إظهاره، ويحاول تغطيته أحياناً بتعبير آخر. إنّ الابتسامة هي الغطاء أو القناع الأكثر شيوعاً، ويكون التثبيط أحياناً سريعاً جداً، حيث يصعب التقاط رسالة العاطفة، التي ربما يكون التعبير الذي قوطع، قد نقلها، وحتى إذا لم تتسرّب الرسالة، فقد يكون التثبيط قرينة ملحوظة تظهر أنّ الشخص يخفي مشاعره، ويستمرّ تعبير التثبيط في الغالب مدة أطول، ولكنه ليس كاملاً كالتعبير الدقيق. إنّ التعبير الدقيق الخاطف، ولكن العرض الكامل موجود، ولكنه أقصر، وتتمّ مقاطعة تعبير التثبيط، ولا يصل التعبير دائماً إلى العرض الكامل، ولكنه يدوم أكثر من دوام التعبير الدقيق، وقد تكون المقاطعة نفسها ملحوظة.

التعبيران: الدقيق والمُثبّط، عرضة للمشكلتين اللتين قد تسببان صعوبة في تفسير معظم قرائن الخداع؛ الأولى مخاطرة بروكاو المذكورة في الفصل السابق، والتي يفشل فيها مكتشف الكذب في تفسير الفروق الفردية في التعابير العاطفية؛ (تصديق الكاذب) ليس بالضرورة أن يظهر كلّ شخص يخفي عاطفة ما تعبيراً دقيقاً أو مثبّطاً، وكذلك لا يعدّ غيابها دليل صدق. هناك فروق فردية في التمكّن من السيطرة على التعبير، وهناك بعض الأشخاص الذين أدعواهم الكاذبين بالفطرة، يقومون بذلك بكلّ براعة. والمشكلة الثانية، والتي أسميها خطأ أوثلو، يسببها الفشل في معرفة انفعال بعض الأشخاص الصادقين عندما يشكّ أنّهم يكذبون؛ (تكذيب الصادق). يتطلب تجنب خطأ أوثلو أن يفهم مكتشف الكذب أنه

حتى عندما يبدي أحدهم تعبيراً دقيقاً، أو مثبطاً، فإن ذلك غير كافٍ للحكم عليه بالكذب. ويمكن (شعور البريء الذي يحاول إخفاء شعوره بهذه التعابير) الإحساس بأي عاطفة مسربة تقريباً من هذه التعابير؛ فقد يشعر الشخص البريء بالخوف من عدم التصديق، والذنب حيال شيء آخر، وبالغضب والازدراء بالاتهام غير العادل، وبالسرور لإتاحة الفرصة لإثبات كون المُتَّهَم مخطئاً، ومتفاجئاً بالتهمة...، وما إلى ذلك من مشاعر أخرى. إذا أراد البريء إخفاء إحساسه بهذه المشاعر، فقد يحدث تعبيراً دقيقاً أو مثبطاً. سنناقش طرق التعامل مع هذه المشكلات في مقاطعة التعابير الدقيقة والمثبطة في الفصل القادم.

لا يمكن التَّحَكُّم في العضلات جميعها التي تنتج تعابير الوجه بالسهولة نفسها؛ إذ إن بعض العضلات أكثر مصداقية من غيرها، ولا تتوافر هذه العضلات الصادقة لاستخدامها في التعابير الزائفة؛ إذ لا يستطيع الكاذب السيطرة عليها، ويواجه الكاذب وقتاً صعباً في إخفاء حركاتها عند محاولة إخفاء العاطفة الصادقة؛ لأنها ليست متأصلة مسبقاً أو مثبطة.

لقد عرفنا العضلات التي لا يمكن السيطرة عليها من خلال الطلب إلى أشخاص أن يحركوا بقصد كل واحدة من عضلات الوجه، وكذلك عرض العواطف على وجوههم<sup>(7)</sup>. هناك بعض حركات العضلات التي يستطيع قلة من الأشخاص القيام بها بقصد؛ فهناك مثلاً 10% من الأشخاص الذين تم اختبارهم يستطيعون بقصد شد زوايتي الفم إلى الأسفل من غير تحريك عضلة الذَّقْن.

ولكننا لاحظنا أن هذه العضلات، التي يصعب السيطرة عليها، تتحرك فعلاً لدى شعور الشخص بالعاطفة التي تستدعي هذه الحركة، مثلاً: قد يبدي الأشخاص أنفسهم الذين لا يستطيعون شد زوايتي الفم إلى الأسفل هذه الحركة عند شعورهم بالحزن، أو الندم، أو الغم. لقد تمكنا من تعليم الأشخاص كيفية تحريك هذه العضلات صعبة التَّحَكُّم فيها عمداً، مع أن ذلك تطلَّب مئات الساعات حتى أمكن تعليمهم. تُعدّ هذه العضلات موثوقاً بها؛ لأن الفرد لا يعرف كيفية نقل الرسالة إلى العضلة لتوظيفها في التعبير الزائف. وعليه، أستنتج أن الشخص إذا لم يستطع نقل الرسالة إلى العضلة لاستخدامها في التعابير الزائفة فقد يواجه وقتاً صعباً في جعل رسالة (توقّف)، أو الإحباط من التدخل بحركة العضلة تلك عند الإحساس بالعاطفة التي تستدعي العضلة للتحرك، وإذا لم تستطع تحريك عضلة ما بقصد تزييف تعبير ما فلن تكون قادراً على تثبيط العضلة من التحرك؛ لإخفاء جزء من التعبير العاطفي.

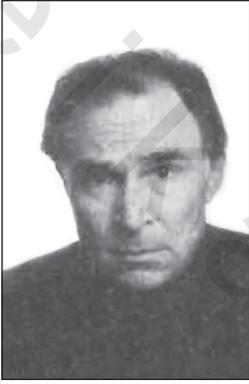
هناك طرائق أخرى لإخفاء التعبير الصادق من غير الحاجة إلى تشبيطه. ويمكن أيضاً إلباس التعبير قناعاً، بابتسامة في العادة، لكن ذلك لن يخفي علامات العاطفة الصادقة في الجبهة والجفنين العلويين. وبدلاً من ذلك، يمكن شد العضلات غير المعنوية للاحتفاظ بالتعبير الحقيقي مكبوتاً، ويمكن التخفيف من ابتسامة المتعة عن طريق ضغط الشفتين معاً، ودفع عضلة الذقن إلى الأعلى. ومع ذلك، قد يجعل استخدام العضلات غير المعنوية، مع العضلات المعنوية بتعبير العاطفة الصادقة الوجه غير طبيعي، وجامداً، وغير مُسيطر عليه. إن الطريقة المثلى لإخفاء العاطفة الصادقة هي تشبيط حركات العضلات المعنوية بالتعبير تماماً، وقد يكون ذلك صعباً إذا احتاجت العاطفة إلى عضلات الوجه الموثوق بها.

تعدّ الجبهة الموضع الرئيس لحركات العضلات الصادقة، ويبين الشكل (3A) حركات العضلات الصادقة التي تحدث عند الحزن، أو الضيق، أو الكرب، وربما مع الذنب أيضاً. إنّه التعبير الموضّح في الشكل (2) نفسه، ولكن من السهل التركيز على الجبهة فقط في الشكل (3A) حيث يكون باقي الوجه جامداً وخالياً من أيّ تعبير. لاحظ أنّ الزوايا الداخلية للحاجبين مشدودة إلى الأعلى، وعادة ما ينتج من ذلك جعل الجفن العلوي على صورة مثلث، إضافة إلى بعض التجاعيد في منتصف الجبهة. استطاع أقل من (15%) من العينة المفحوصة إنتاج هذه الحركة عمداً، ويجب ألا تكون موجودة في العرض الزائف لهذه العواطف، ويجب أن تظهر عندما يشعر الشخص بالحزن أو الكرب (أو ربما مع الذنب أيضاً). وعلى الرغم من محاولات إخفاء هذه المشاعر، فإنّ هذه الحركات ورسوم تعابير الوجه الأخرى تبين نسخة متطرّفة من العرض؛ لجعل صورة التعبير واضحة على الرغم من عدم القدرة على إظهار الحركة بادية على الوجه. إذا كان الشعور بالحزن ضعيفاً، فإنّ مظهر الجبهة يكون نفسه الموجود في الشكل (3A) ولكن بدرجة أقل، وبمجرد معرفة نمط التعبير تصبح النسخ البسيطة منه مكتشفة، ولكن كما يتضح في الحياة الواقعية، فإن الحركة هي الملحوظة وليس التمثيل الثابت.

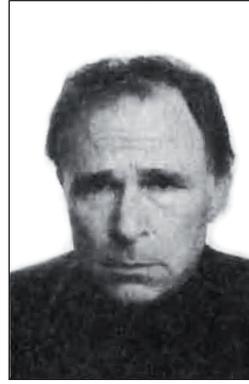
يبين الشكل (3B) حركات العضلات الصادقة الموثوق بها التي تحدث عند الخوف، أو القلق أو الخشية، أو الرعب. لاحظ أنّ الحاجبين مرتفعان ومشدودان معاً، ولكن يصعب القيام بهذه التركيبة من الحركات عمداً؛ فلم يستطع أكثر من (10%) من العينة المفحوصة

إنتاجها قَصْداً، وتبيّن الصور أيضاً أنّ الجفن العلوي المرتفع والجفن السفلي المشدود يشيران إلى الخوف، ويمكن أيضاً التوقّف عن أداء حركات الجفن عند محاولة أحدهم إخفاء خوفه؛ لأنّ السيطرة على هذه الحركات ليس سهلاً، ولكن يُرَجَّح أن يبقى وضع الحاجب على ما هو عليه.

تبيّن صورتان (3C) و(3D) حركات الجفون والحواجب التي توضح الغضب والمفاجأة على التوالي، ولا توجد حركات حاجب وجفن مميّزة تصف العواطف الأخرى.



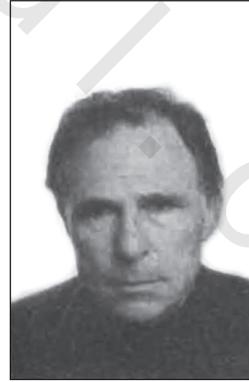
الشكل 3B



الشكل 3A



الشكل 3D



الشكل 3C

إن حركات الحاجب والجفن التي تظهر في الشكلين 3C و3D ليست من الحركات الموثوق بها والصّادقة؛ إذ يستطيع الجميع أداءها؛ لذا، يجب أن تظهر في التعابير المزيّفة،

ويمكن إخفاؤها بسهولة، وهي مُضمّنة لإكمال الصورة لكيفية إشارة الحواجب والجفون للعاطفة، كي يتضح التباين في المظهر بالحركات الموثوقة الواضحة في الشكلين A3 وB3.

تعدّ حركات الحواجب الواضحة في الشكلين 3C و3D أكثر تعابير الوجه شيوعاً، وهي تستخدم بوصفها إشارات تخاطب؛ لتأكيد الكلام أو دلالة على اللهجة. تُوظف حركة رفع الحواجب بوصفها علامات تعجب، أو إشارات استفهام، وكذلك بوصفها إشارة إلى عدم التصديق والتشكيك. دعا داروين العضلة التي تجذب الحاجبين إلى الأسفل معاً «عضلة الصعوبة»، وقد كان محقّقاً بتأكيده على أنّ هذه الحركة تحدث عندما نواجه صعوبة في القيام بعمل فعل ما؛ من رفع حملٍ ثقيلٍ إلى حلّ مشكلة حسابية معقدة. إنّ خفض الجفون وجذبهما معاً شائع عندما تتناوبا الحيرة، وشائعة عند التركيز كذلك.

وهناك حركة وجه أخرى موثوقة في منطقة الفم. وأحد أفضل قرائن الغضب هو تضيق الشفتين، فتصبح منطقة الشفتين ذات اللون الأحمر أقل وضوحاً، ولكن ليس بالضرورة أن تكون الشفتان مسحوبتين نحو الداخل أو مضغوطتين، ويُعدّ القيام بحركة هذه العضلة صعباً جداً لدى معظم الأشخاص، وقد لاحظت أنها تظهر عادة عندما يبدأ أحدهم بالغضب، حتى قبل أن يدرك الشخص الشعور. ومع ذلك فإنها حركة خفية، ويمكن إخفاؤها بابتسامة. تبين الصورة (4) كيف تغيّر هذه الحركة شكل الشفتين.

قد يُعقّد خطأ أو تلو تفسير عضلات الوجه الموثوقة؛ أي الإخفاق بمعرفة أنّ الشخص الصادق المشكوك بكذبه قد يبدي علامات عاطفة الكاذب نفسها. قد يبدي المتهم البريء عرض الخوف الموثوق الذي يظهر في الشكل 3B؛ لأنه يخاف من الاتهام زوراً، وقد يحاول إخفاء خوفه؛ لقلقه أنّه إنّ بدا خائفاً فسيعتقد الآخرون أنه كاذب، كي تبقى علامات الخوف ظاهرة فقط في الحواجب صعبة التشيط.



الشكل 4

ويرجح، أن يظهر الكاذب الخائف من اكتشافه، ويحاول إخفاء خوفه التعابير نفسها. وعليه، سنناقش طرائق تعامل مكتشف الكذب مع هذه المشكلة في الفصل السادس.

ينبغي تجنب مخاطرة بروكاو في تفسير علاقات الوجه الموثوقة لفشلها في تفسير الفروق الفردية التي تجعل الكاذب يخفي قرينة الخداع، في حين، لا يبيدها الشخص الصادق. يمتلك بعض الأشخاص، كالكاذبين بالفطرة، ومرضى الاضطراب العقلي، قدرة غير عادية على تثبيط علامات الوجه التي تظهر مشاعرهم الحقيقية. فبالنسبة إليهم، لا تعدّ عضلات الوجه جديرة بالثقة. ويُعدّ بعض القادة الذين لديهم حضور طاغ (كريزما) ممثلين قديرين. فقد أظهر البابا يوحنا بولس الثاني مثل هذا الحضور والجاذبية الطاغية في أثناء زيارته إلى بولندا في 1983م.\*

فقبل بضع سنوات، لاح الأمل عندما أُضرب عمّال حوض السفن في غدانسك لإمكانية سماح الحكام الشيوعيين الموجودين بقدر من الحرية السياسية. وخشي كثيرون أنه إذا دفع ليخ فاليسا زعيم نقابة اتحاد عمّال التضامن بطلب الكثير، أو استعجل، فقد تدخل القوات السوفييتية كما فعلت قبل سنوات في هنغاريا، وتشيكوسلوفاكيا، وألمانيا الشرقية. اشتركت القوات السوفييتية بالمناورات العسكرية بالقرب من الحدود مع بولندا لأشهر،

\* إن استنكار الكذب قوي جداً بحيث يبدو استخدامي لمصطلح كاذب لأي شخص محترم غير صحيح، وكما شرحت في الفصل الثاني أنا لا أستخدم مصطلح كاذب بطريقة إسقاطية، وكما سأوضح في الفصل الأخير، اعتقد أن بعض الأكاذيب يمكن الدفاع عنها من الناحية الأخلاقية.

وأخيراً استقال النظام الذي تحمّل سوء تقدير التضامن، وتسلم الجيش البولندي، بموافقة موسكو، مقاليد الحكم. علق الجنرال ياروزلسكي أنشطة اتحاد العمال، وحظر أنشطة ليخ فاليسا، وفرض الأحكام العرفية، والآن، وبعد ثمانية عشر شهراً من الأحكام العرفية، قد يكون لزيارة البابا نتائج مهمة. هل سيدعم البابا فاليسا؟ هل سيشعل وجوده الإضراب أم يحفز على التمرد؟ أم أنه سيعطي مباركته للجنرال ياروزلسكي؟ وصف الصحفي وليام سافير اللقاء المصور بين البابا والجنرال قائلاً: «... أظهر الحَبْرُ الأعظم والزَّعيم الدِّمية الابتسامات وتصافحا. يفهم البابا كيف يمكن استخدام تعابير وجهه في أثناء ظهوره العلني في مثل هذه المناسبات، وهنا كانت الابتسامة لا لبس فيها: لقد توصلت الكنيسة والدولة إلى اتفاق سرّي، وتم عرض المباركة السياسية التي ينشدها الزعيم البولندي باختيار موسكو (لياروزلسكي) في التلّفاز الرسمي مرات عدة<sup>(8)</sup>».

يستطيع كل زعيم سياسي إدارة تعابير وجهه بمهارة. كتب الرئيس المصري الراحل أنور السادات عن محاولاته عندما كان مراهقاً تعلّم كيفية التحكم في عضلات وجهه: «... لقد كانت هوايتي السياسية، وقت وجود موسوليني في إيطاليا، وقد شاهدت صورة وقرأت كيف كان يستطيع السيطرة على تعابير وجهه عندما كان يخاطب العامة، متوقفاً لشحن قوته أو عدائته كي ينظر الآخرون له ويقرّون السلطة والقوة في ملامحه الدقيقة. لقد أُعجبت بذلك جداً، ووقفت أمام المرآة في البيت محاولاً تقليد هذا التعبير القائد، ولكن النتائج كانت مخيبة للآمال، وكلّ ما حققته هو أن أصبحت عضلات وجهي متعبة، وشعرت بالألم<sup>(9)</sup>».

على الرغم من أن السادات لم يتمكن من تزييف تعابير وجهه فإن نجاحه في سرّ تزييف الهجوم المفاجئ المشترك السوري المصري على إسرائيل في سنة 1973م يظهر أنه كان ماهراً في الخداع، وليس هناك تناقض في ذلك؛ إذ لا يتطلب الخداع مهارة في تزييف أو إخفاء تعابير الوجه، أو حركات الجسم، أو الصوت؛ إذ إن ذلك ضروري في الخداع المباشر عندما يكون الكاذب والمتلقّي وجهاً لوجه، كما حدث في الاجتماع الذي ضلّ فيه هتلر باقتدار تشامبرلين. وورد أيضاً أن السادات لم يحاول إخفاء مشاعره الحقيقية عندما التقى مع خصومه مباشرة، وقال وزير الدفاع الإسرائيلي عزرا وايزمان الذي تفاوض مع

السادات مباشرة بعد حرب 1973م: إنه رجل لا يحتفظ بمشاعره لذاته، فهي تظهر مباشرة في تعابيره وكذلك في صوته وإيماءاته<sup>(10)</sup>».

هناك طريقة أخرى وأكثر محدودية تتدخل فيها الفروق الفردية في تفسير عضلات الوجه الموثوقة، وتتطوي على إشارات لغة الوجه التي ذكرتها سابقاً، وتشبه بعض إشارات التخاطب كثيراً حركات اليد التوضيحية، وهي تركز على بعض الكلمات في أثناء الحديث بها. يخفض معظم الأشخاص حواجبهم أو يرفعونها (كما يظهر في الشكلين 3C و3D). ويستخدم عدد قليل حركة الحاجب الحزينة أو الخائفة (كما في الشكلين 3A و3B) للتأكيد على الكلام، وتعدّ هذه الحركات لدى من يقومون بها غير موثوقة؛ الممثل والمخرج وودي ألن له حركات حاجبين لا يعوّل عليها. فهو يستعمل حركة الحاجب الحزين لتأكيد الحديث، في حين يرفع معظم الأشخاص أو يخفضون حواجبهم؛ لتأكيد كلمة ما. ولكن بدلاً من ذلك، يقوم وودي ألن عادة بجذب الزاوية الداخلية لحاجبيه نحو الأعلى، وهذا جزء مما يميزه بنظرة الحزن والتعاطف. يستطيع الآخرون الذين يشبهون وودي ألن استخدام حركة الحاجب الحزين كحركة يعوّل عليها بسهولة، ويقومون بهذه الحركات عن قصد.

ينبغي أن يكون هؤلاء الأشخاص قادرين على استخدام هذه الحركات في التعابير المزيفة وإخفائها عند رغبتهم القيام بذلك؛ لأنهم يتمتعون بقدرة الوصول السهل للعضلات التي لا يستطيع آخرون الوصول إليها، ويستطيع مكتشف الكذب معرفة عدم قدرته على الاعتماد على هذه العضلات إذا كان المشتبه به يستخدم هذه الحركات استخداماً متكرراً بوصفها حركات مؤكدة. وقد تعقّد مشكلة ثالثة تفسير عضلات الوجه الموثوقة وقرائن الخداع الأخرى، ويمكن استخدام تقنية المسرحية لجعل هذه العضلات تتحرك بالتعبير الزائف، وتعلم تقنية ستانسلافسكي (المعروفة بطريقة التمثيل) الممثل كيف يظهر العاطفة بدقة عن طريق تعليمه كيفية تذكر العاطفة وإعادة اختبارها. في نهاية الفصل السابق، ناقشنا استخدامنا لتقنية التمثيل هذه لدراسة الجهاز العصبي اللاإرادي؛ فعندما يستخدم الممثل هذه التقنية، لا تكون تعابيره وجهه مقصودة، لكنها نتاج الاندماج في العاطفة مرة أخرى. وكما تشير الدراسة، فإنّ من الممكن إيقاظ العاطفة واسترجاعها، وإذا لم يستطع الأشخاص القيام بالحركات الموضحة في الشكلين 3A و3B، يُطلب إليهم استخدام تقنية

ستانسلافسكي؛ ليعيشوا ثانية مشاعر حزينة أو مخيفة، وبهذا، قد تظهر حركات الوجه التي لم يستطيعوا القيام بها عمداً، ويستطيع الكاذب استعمال تقنية ستانسلافسكي، وإذا كان الأمر كذلك، يجب ألا تكون هناك علامات على الأداء المزيف؛ لأنه لا يكون كذلك في بعض الحالات، وقد تظهر علامات الوجه الموثوقة في تعبير الكاذب المزيف بسبب شعوره بالعاطفة المزيفة، ويصبح الحدّ الفاصل بين الزيف والحقيقية غير واضح المعالم عندما تنتج العاطفة حسب تقنية ستانسلافسكي، والأسوأ من ذلك هو الكاذب الذي ينجح في خداع نفسه، فيصدق كذبه. ومثل هذا الصنف من الكاذبين لا يمكن اكتشافه، لكن يحتمل اكتشاف الكاذبين الذين يعرفون أنهم يكذبون.

وصفت حتى الآن ثلاث طرائق قد تتسرّب فيها المشاعر المخفية هي: التعابير الدقيقة، وما يمكن رؤيته قبل التثبيط، وما يبقى على الوجه؛ لأنه لم يكن من الممكن تثبيط حركة عضلة الوجه الموثوقة.

يعتقد معظم الأشخاص بوجود مصدر رابع لكشف المشاعر المخفية؛ وهو العينان؛ يُعتقد أنّ العيون مرآة الروح، ويُقال: إنّ العيون تكشف المشاعر الداخلية الأكثر صدقاً. مارغريت ميد أستاذة علم طبائع البشر (الأنثروبولوجي) اقتبست قول أستاذ روسي اختلف معها قبل الثورة، اعتدنا القول: «العينان مرآة الروح»؛ تستطيع العينان الكذب، فكيف يكون ذلك؟ تستطيع التعبير بعينيك عن الانتباه الشديد، والذي لا تشعر به في واقع الأمر. وتستطيع التعبير عن السكينة أو المفاجأة<sup>(11)</sup>. يمكن حلّ الخلاف بشأن مصداقية العينين من خلال التفكير بكلّ واحد من مصادر المعلومات الخمسة الموجودة فيهما بصورة منفصلة؛ إذ تقدم ثلاثة منها تسرباً أو قرائن خداع.

أولها: تغيّر مظهر العينين الذي تنتجه العضلات المحيطة بالمقلتين؛ تغيّر هذه العضلات شكل الجفنين، ومدى الظاهر من بياض العين والقزحة، والانطباع الكلي المكتسب من النظر إلى منطقة العينين. وتظهر بعض التغيرات التي تنتجها العضلات في الأشكال: 3A، و3B، و3C، و3D. ولكن، كما ذكرنا سابقاً، لا تقدّم حركات العضلات قرائن موثوقة على الخداع تقريباً، من السهل تحريك هذه العضلات، أو تثبيط حركاتها عمداً، فلا يتسرّب الكثير ما عدا التعبير الدقيق أو المُثبّط.

أما المصدر الثاني للمعلومات في منطقة العينين فيتمثل باتجاه النظرة، حيث يحمل كل اتجاه عاطفة معينة إلى الأسفل مع الحزن، ونحو الأسفل بعيداً مع الخزي أو الذنب، وبعيداً مع الاشمئزاز، ولكن قد لا يتجنب الكاذب المذنب النظر كثيراً؛ لأن الكاذبين لا يعرفون أن الجميع يتوقعون القدرة على كشف الخداع بهذه الطريقة. لقد لاحظ الأستاذ السوفييتي الذي اقتبستُ ميد كلماته مدى سهولة التَّحكُّم في اتجاه نظر المرء، والمدهش بقاء الأشخاص مخدوعين أمام الكاذبين المهرة بالصورة الكافية كي لا يشيحوا أبصارهم.

«أحد الأشياء التي جذبت باتريشا جاردنز إلى جيوفاني فيجليوتو؛ الرجل الذي ربما يكون قد تزوج مئة امرأة «فضيلة الصدق» بالنظر مباشرة إلى عينيها، وقد شهدت باتريشا في اليوم السابق في محاكمته على جمعه بين زوجتين<sup>(12)</sup>».

والمصادر (الثالث والرابع والخامس) للمعلومات المتحصّلة من منطقة العينين هي مصادر واعدة أكثر لقرائن الخداع والتسرب، يمكن للشخص الغمز إرادياً، ولكنه أيضاً استجابة لإرادية تظهر عند انفعال الأشخاص عاطفياً؛ يتمدد البؤبؤان عند الانفعال العاطفي، ولكن لا يوجد مسار إراديّ يتيح لأيّ شخص خيار القيام بهذا التغيير باختياره، ويعاد إنتاج تمدد البؤبؤين بالجهاز العصبي الذاتي، والذي ينتج أيضاً تغييرات في كمية اللعب، والتنفس، والتعرق المذكورة في الفصل الرابع، وبعض تغيّرات الوجه المبيّنة أدناه. يشير تمدد البؤبؤين والغمز إلى الانفعال العاطفي، ولكنهما لا يكشفان عن نوع العاطفة، فقد تكون علامات الإثارة، أو الغضب، أو الخوف، وقد يكون الغمز وتمدد البؤبؤين تسرباً قيماً عندما تكشف القرينة عن عاطفة أو شخص ما كان يكذب، وأن مكشّف الكذب يمكنه استبعاد احتمال أن تكونا علامات على خوف الشخص البريء من أن يتم الحكم عليه ظلماً.

الدموع؛ العنصر الخامس والأخير للمعلومات في العينين، يتم إنتاجها أيضاً بحركة النظام العصبي الذاتي، ولكن الدموع علامات على بعض العواطف فقط وليس جميعاً، وتُستدعى الدموع بالحزن، والكرب، والابتهاج، وبعض صور الاستمتاع، والضحك غير المنضبط، ويمكن أن تُسرّب الدموع الكرب أو الحزن عندما تكون العلامات الأخرى مخفية على الرغم من توقع إظهار الحاجبين للعاطفة أيضاً، وأن الشخص، وبمجرد بدء انهمار الدموع، يعرف بسرعة نوع المشاعر المخفية. يجب ألا تتسرب دموع الفرحة إذا كانت الضحكة

بحد ذاتها مكبوتة، وينتج النظام العصبي اللاإرادي تغيرات أخرى مرئية في الوجه: كالتورّد والشحوب والتعرق.

كما هو الحال مع تغيرات الوجه والجسم الأخرى التي ينتجها النظام العصبي الذاتي، من الصعب إخفاء التورّد، أو الشحوب، أو تعرق الوجه، ولم يتأكد بعد ما إذا كان من الممكن تفسير التعرق كتفسير الغمز المتكرر وتوسع حدقة العين، على أنّهما علامتان على استئثار عاطفة ما، أو أنّهما بدلاً من ذلك محدّدان بعاطفة أو اثنتين، مع العلم أنّه لا يُعرف إلا القليل عن التورّد والشحوب.

يفترض أن يكون تورّد الخدين علامة على الحرج والخجل أيضاً، وربما الذنب كذلك. ويُقال: إنه أكثر شيوعاً لدى النساء مقارنة بالرجال، على الرغم من عدم معرفة سبب ذلك. قد يسرب التورّد شعور الكاذب بالحرج أو الخجل لما يقوم بإخفائه، أو قد يكون الحرج بذاته هو ما يتم إخفاؤه؛ يتحوّل لون الوجه للاحمرار أيضاً بالغضب، ولا أحد يعلم كيفية اختلاف الاحمرار عن التورّد. من المفترض أن يُظهر كلاهما تمدّد الأوعية الدموية في الجلد. ولكن يختلف احمرار كلٍّ من الغضب والحرج أو الخزي بالكمية، ومناطق الوجه المتأثرة، والمدّة. أتوقع أنّ الوجه يحمرّ عندما لا يكون الغضب مسيطراً عليه، أو عندما يحاول الشخص السيطرة على الغضب الذي يشارف على الانفجار، وإذا كان الأمر كذلك، يكون هناك دليل آخر على الغضب بالوجه والصوت، وإنّ مكتشف الكذب لا يعتمد على تلوّن الوجه لكشف هذه العاطفة. وفي الغضب المُسيطر عليه أكثر، قد يشحّب الوجه أو يبيض، وكذلك يفعل أيضاً بالخوف؛ فقد يتسرب التورّد حتى عندما تكون تعابير الغضب والخوف مخفية، ومن المدهش نُدرّة الدراسات عن الدموع، والتورّد، والاحمرار، والشحوب، وعلاقة كلٍّ منها مع التعبير أو إخفاء العواطف المحدّدة.

لننتقل الآن إلى كيفية كشف الوجه للعواطف المخفية لعلامات الوجه، وأنّ التعبير مزيف، وأنّ تلك العاطفة ليست صادقة حقاً. إنّ أحد الاحتمالات التي سبق ذكرها يتمثل في أنّ العضلات الموثوقة ليست جزءاً من التعبير المزيف طالما ليست هناك مشكلة وودي أن أو ستانسلافسكي، وهناك ثلاث قرائن أخرى تشير إلى أنّ التعبير زائف، هي: عدم التّمائل، والتوقيت، والمكان في مجرى الحديث.

في تعبير الوجه غير المتماثل، تظهر الحركات نفسها على كلا جانبي الوجه، ولكنها تكون أقوى على أحد الجانبين مقارنة بالآخر، وينبغي عدم الخلط بينهما وبين التعابير التي تظهر على جانب واحد من الوجه. إنَّ حركات الوجه من جانب واحد ليست دلالة على العاطفة، باستثناء تعابير الازدراء التي ترتفع فيها الشفة العليا، أو تشدُّ زاوية الشفة لأحد الجانبين. بدلاً من ذلك، تُستخدم تعابير الجانب الواحد في الحركات الرمزية، مثل الغمز بالعين، أو الرفع المتشكك لأحد الحاجبين. إنَّ التعابير غير المتماثلة أكثر خفية، وأكثر شيوعاً، وأكثر إثارة للاهتمام مقارنة بتعابير أحد الجوانب.

العلماء المهتمون بنتائج أنَّ النصف الأيمن من الدماغ متخصص بالتعامل مع العاطفة اعتقدوا أنَّ أحد جانبي الوجه قد يكون عاطفياً أكثر، ولما كان نصف الدماغ الأيمن يتحكم في كثير من عضلات الجانب الأيسر للوجه، في حين، يتحكم النصف الأيسر في عضلات الجانب الأيمن للوجه - فإنَّ بعض العلماء يشيرون إلى أنَّ العاطفة قد تكون أكثر قوة في الجانب الأيسر من الوجه. وفي أثناء محاولتي اكتشاف التناقضات في إحدى التجارب، اكتشفت عن طريق المصادفة كيف يمكن أن يكون عدم التماثل دليلاً على الخداع؛ فالتعابير الملتوية التي تكون فيها الحركات أقوى بقليل في أحد جانبي الوجه مقارنة بالجانب الآخر دليلٌ على أنَّ المشاعر الظاهرة غير صادقة.

حصلت المصادفة؛ لأنَّ الفريق الأول من العلماء الذين ادعوا أنَّهم وجدوا ظهور العاطفة بقوة على الجانب الأيسر من الوجه لم يستخدموا أدواتهم الخاصة، ولكنهم استعاروا صور الوجه من عندي. وقد درستُ نتائج تجاربهم بدقة أكبر مما كنت أفعل عادة، واستطعت معرفة أشياء لم يعرفوها؛ بسبب ما أعرفه لأنني مصوِّر للوجوه.

لقد قطع هارولد ساكيم وزملاؤه كلَّ صورة من صور الوجوه التي صوَّرتها من المنتصف لتركيب صورة كلا الجانبين فيها يساراً وأخرى كلا جانبيها يميناً، بحيث تكون صورة الوجه الكاملة مؤلفة من صورة مرآة لأحد جانبي الوجه. صنَّف الأشخاص العاطفة على أنها أكثر شدة عندما شاهدوا صورة الوجه الأيسر المزدوج مقارنة بالصور المزدوجة للجانب الأيمن<sup>(13)</sup>، وقد لاحظت وجود استثناء واحد؛ هو عدم وجود فروق في الأحكام التي أدلِّي بها على الصور السعيدة. لم يستنتج ساكيم كثيراً من التجربة، ولكني فعلت. ولأنني

المصوّر، عرفت أنّ الصور السعيدة كانت للتعبير العاطفية الحقيقية الوحيدة، وقد التُقِطت باقي الصور بالطلب إلى مجموعة عارضات تحريك عضلات معينة عمداً، وقد التقطت الصور السعيدة خارج جلسات التصوير من غير أن تعلم العارضات بذلك في أثناء مرجهن بوقت الفراغ.

إضافة إلى نتائج دراسات تلف الدماغ وتعبير الوجه التي وصفتها سابقاً في هذا الفصل، تشير هذه النتائج إلى تفسير مختلف تماماً لعدم تماثل الوجه. لقد أظهرت الدراسات أنّ التعبير الإرادية واللاإرادية تتطوي على مسارات عصبية مختلفة؛ إذ يمكن أن تنخفض قيمة أحدها في حين لا يتأثر الآخر، وذلك تبعاً للمنطقة التالفة من الدماغ، ويمكن للتعبير الإرادية واللاإرادية أيضاً أن تكون مستقلة بعضها عن بعض؛ فإذا كانت واحدة منها غير متماثلة فقد لا تكون الأخرى كذلك. استند الجزء المنطقي الصغير الأخير على الحقيقة المؤكدة، والتي تفيد أنّ حركات الوجه في نصفي الدماغ مباشرة وإرادية، وليست لإرادية، وتنشأ الأخيرة في مناطق الدماغ السفلية، وينبغي للفروق بين نصفي الدماغ الأيمن والأيسر التأثير في التعبير الإرادية، وعدم التأثير في التعبير العاطفية اللاإرادية.

كما أرى، وجد ساكيم عكس ما اعتقد أنه أثبت؛ لم يكن ما وجده أنّ جانبي الوجه تختلف في التعبير العاطفية. وبدلاً من ذلك، حدث اللاتماثل عندما كان التعبير وقفة استعراض متمعددة وإرادية ومعدّة حسب الطلب، وعندما كان التعبير لإراديّاً، كما في الوجوه السعيدة بصورة عفوية، كان هناك بعض اللاتماثل، والذي يُعدُّ قرينة تدلّ على أنّ التعبير غير صادق<sup>(14)</sup>.

لقد أجرينا مجموعة من الاختبارات لهذه الأفكار؛ للمقارنة بين تعبير الوجه المتمعددة وال عفوية. احتدّ الجدل العلمي بشأن هذه المسألة، وقد برز مؤخراً اتفاق جزئي عن الحركات المعنية في التعبير العاطفية الإيجابية، والآن يتفق معظم الباحثين مع نتائج بحوثنا، وهي عندما لا يكون تعبير الوجه صادقاً، تعمل العضلة الرئيسية المعنية بالابتسام بقوة أكبر في جزء من الوجه، وعندما طلبنا إلى بعض الأشخاص الابتسام عمداً، أو الظهور بمظهر السعادة، وجدنا عدم تماثل، وكما وجدناه عندما درسنا الابتسامات التي بدت على وجوه الناس عند مشاهدتهم أحد الأفلام الدموية. على وجه العموم، كانت الحركة أقوى بقليل على الجانب

الأيسر من الوجه إذا كان الشخص يستخدم يده اليمنى، ووجدنا في الابتسامات الحقيقية الصادقة، قلة في التعابير غير المتماثلة التي تكون أقوى في الجانب الأيسر من الوجه<sup>(15)</sup>.

ووجدنا عدم تماثل في بعض الحركات المعنية بالعواطف السلبية، إذا ما تم تقمصها عمداً، ولكن ليس عندما تكون جزءاً من العرض العفوي للعاطفة. أحياناً، تكون الحركات أقوى على الجانب الأيسر، وأحياناً أخرى على الجانب الأيمن، وفي بعض الأحيان، لا يكون هناك تباين بين الجانبين، إضافة إلى الابتسام، تعدّ حركة خفض الحاجب الأيسر من الوجه، والتي تكون عادة جزءاً من مشهد الغضب، أقوى في الجانب الأيسر من الوجه إذا ما تمت الحركة عمداً، وتكون حركة تجعيد الأنف المعنية بالاشمئزاز، ومطّ الشفتين نحو الخلف باتجاه الأذنين الموجودة في حالة الخوف أقوى في الجانب الأيمن من الوجه إذا قام الشخص بالحركات متعمداً. نُشرت هذه النتائج حديثاً، وليس من المؤكد ما إذا كانت مقنعة لأمثال ساكيم الذين قدموا اقتراح اللاتماثل في التعابير العاطفية<sup>(16)</sup>.

لا أعتقد أنّ ذلك يفيد مكتشف الكذب كثيراً؛ لأنّ عدم التماثل عادة ما يكون خفياً جداً لدرجة أنني أعتقد ألا أحد يستطيع اكتشافه من غير قياس دقيق، وقد كنت مخطئاً في اعتقادي هذا.

فعندما طلبنا إلى الآخرين الحكم على ما إذا كانت التعابير متماثلة أو غير متماثلة، قدموا أحكاماً فاقت المصادفة، على الرّغم من اضطرارهم الإدلاء بالأحكام من غير مشاهدة العرض البطيء أو المشاهدة المتكررة<sup>(17)</sup>. لكنهم لم يكونوا مُطالبين بالقيام بأيّ شيء آخر. ولكننا لا نعرف حتى الآن ما إذا كانوا قادرين على إصدار مثل هذه الأحكام الصحيحة عندما يكون عليهم التعامل مع مشتتات رؤية حركات الجسم، وسماع الصوت، وإجابة الشخص الذي يتحدث معهم. لكن من الصعب جداً تصميم تجربة لتحديد ذلك.

إذا كان كثير من تعابير الوجه غير متماثلة، فمن المرجح أنها لا تكون صادقة، ولكن عدم التماثل ليس دليلاً قاطعاً على أنّ التعبير غير صادق؛ بعض التعابير الصادقة غير متماثلة، ولكن في الواقع أنّ معظمها ليس كذلك، وبالمثل، لا يثبت غياب عدم التماثل أنّ التعبير صادق؛ فربما يكون مكتشف الكذب قد أغفله، وبصرف النظر عن هذه المشكلة، لا

يعدّ كلّ تعبير متعمد، غير صادق وغير متماثل، بل معظمها كذلك. ينبغي ألاّ يعتمد مكتشف الكذب على قرينة واحدة على الخداع؛ إذ لا بدّ من وجود عدد من القرائن؛ لذا، يجب أن تؤكد تعابير الوجه قرائن الصوت، أو الكلمات، أو الجسم، وحتى تعابير الوجه، يجب عدم الاستناد إلى قرينة واحدة إلا إذا تكررت، والأفضل من ذلك، وجود قرينة أخرى تؤكدها. لقد وضّحنا سابقاً ثلاثة مصادر للتسرب يكشف فيها الوجه المشاعر المخفية، وهي: عضلات الوجه الموثوقة، والعينان، وتغيرات النظام العصبي اللاإرادي في مظهر الوجه، ويُعدّ عدم التماثل واحداً من مجموعة أخرى من القرائن، وهي ليست تسريباً لما هو مخفي ولكنها قرائن خداع تبيّن أنّ التعبير الظاهر زائف.

**التوقيت:** المصدر الثاني الذي يشير إلى أنّ التعبير مزيف يشتمل التوقيت على المدّة الإجمالية لتعبير الوجه، علاوة على أنه يدلّ على المدّة التي يستغرقها بدء التعبير للظهور (البدء)، والمدّة التي يستغرقها للاختفاء (الغياب)، وتقدم المدد الثلاث قرائن للخداع؛ فمن المرجح أن تكون التعابير طويلة المدّة زائفة (عشر ثوانٍ أو أكثر، وفي العادة خمس ثوانٍ).

عادة، لا تستمر معظم التعابير الصادقة طويلاً، إلا إذا كان الشخص في ذروة التجربة، أو في ذروة النشوة، أو في حالة الغضب العارم، أو في أشدّ حالات الكآبة، ولا تستمر تعابير العاطفة الحقيقية على الوجه لأكثر من بضع ثوانٍ. وحتى في تلك الحالات المتطرفة، من النادر أن تستمر التعابير مدّة طويلة جداً بدلاً من ذلك، هناك تعابير أقصر مدّة؛ فالتعابير الطويلة هي في العادة حركات رمزية أو تعابير استهزائية.

لا توجد قاعدة ثابتة وسريعة بشأن قرائن الخداع في أوقات البدء والغياب إلا في حالات المفاجأة؛ إذا كانت المفاجأة حقيقية فيجب أن تكون مُدّد البدء والغياب وزمن الظهور قصيرة (أقلّ من ثانية)، وإن طالّت المدّة فالمفاجأة متكلّفة غير حقيقية؛ حيث يتظاهر الشخص أنّه متفاجئ، أو أنّه يحاول الظهور أنّه متفاجئ وهو ليس كذلك حقيقة؛ فالمفاجأة دائماً شعور قصير المدّة، وتدوم إلى أن يدرك الشخص المتفاجئ الحدث غير المتوقع. في حين يعرف معظم الأشخاص كيفية تزييف المفاجأة، فإنّ القليل فقط يستطيعون القيام بذلك بإقناع من خلال مُدّد البدء، والغياب، السريعة التي تتصف بها المفاجأة الطبيعية.

أظهرت قصة صحفية مدى قيمة تعبير المفاجأة الحقيقي؛ «تمّ الإفراج عن شخص مدان بغير وجه حقّ في عملية سطو، وبعد أن وجد مدعي عام النيابة، الذي لاحظ ردّة فعل المتّهم تجاه الحكم بإدانته، أدلة جديدة أثبتت براءة واين ميلتون. وذكر مساعد مدعي الولاية المحامي توم سميث أنه علم بوجود خطأ ما بعد رؤيته وجه ميلتون ينحني إلى الأسفل عندما أدانته هيئة المحلفين الشهر الماضي بغرامة قدرها 200 دولار لتأخره في سداد شركة غاز بحيرة أبويكا<sup>(18)</sup>».

قد تكون باقي التعابير العاطفية قصيرة جداً، وتظهر وتختفي خلال مدة قصيرة جداً من الزمن، أو أنها قد تستمر لبضع ثوان، ويمكن أن يكون البدء والغياب سريعاً، ويعتمد ذلك على السياق الذي يحدث فيه التعبير. لنفترض تكلف مرؤوس المرح لدى سماعه طرفة مملة للمرة الرابعة من مدير لا يتمتع بحسّ الدعابة، وذي ذاكرة ضعيفة.

يعتمد الوقت اللازم لظهور حركة الابتسام على تزايد العبارات حتى يصبح التأثير قوياً، سواء تدريجياً مع بعض عناصر الدعابة البسيطة كان ذلك أم فجائياً، ويعتمد الوقت اللازم لغياب حركة الابتسام على نوع الطرفة، وكم هو مناسب إعادة روايتها أو إعادة تقبلها. يستطيع الجميع الابتسام لتزييف الاستمتاع، ولكن الكاذب أقلّ قدرة على تعديل وقت البدء والغياب لتلك الابتسامة بالشكل الصحيح للتفاصيل المطلوبة من السياق.

إنّ الموقع الدقيق لتعبير ما بالارتباط فيما يتعلق بالحديث، وتغيرات الصوت، وحركات الجسم، هو المصدر الثالث لقرائن الخداع التي تشير إلى أنّ التعبير مزيف. لنفترض أنّ أحدهم تكلف الغضب قائلاً: لقد ضقت ذرعاً بسلوكك. وجاء تعبير الغضب بعد الكلمات، فمن الأرجح أن يكون مزيفاً مقارنة مع حدوثه في بداية الجملة أو قبل ذلك بلحظات. هناك على الأرجح مدى أقلّ لموقع تعبير الوجه بالارتباط مع حركات الجسم، ولنفترض أنّ الكاذب، وفي أثناء «ضيقه ذرعاً» ضرب الطاولة بقبضة يده، فإذا تبع تعبير الغضب الضربة، فمن المرجح أن يكون غضبه مزيفاً، ويُرجح أيضاً أن تكون تعابير الوجه غير المتزامنة مع حركات الجسم قرائن خداع.

لا يكتمل النقاش بشأن علامات الوجه في الخداع من غير دراسة أحد أكثر تعابير الوجه تكراراً (الابتسامة). إنها فريدة من نوعها بين تعابير الوجه، ولا تتطلب سوى عضلة واحدة لإظهار الاستمتاع. أمّا معظم العواطف الأخرى فبحاجة إلى حركة ثلاث إلى خمس عضلات. إنَّ الابتسامة البسيطة هي التعبير الأسهل للملاحظة، وقد وجدنا أنه يمكن رؤية مثل هذه الابتسامة البسيطة عن بعد (300 قدم)، وبمدة عرض أقصر مقارنة بالتعابير العاطفية الأخرى<sup>(19)</sup>. من الصعب عدم الرّدّ على الابتسامة بمثالها؛ حتى إنَّ الأفراد يقومون بها حتى لو كانت الابتسامة موجودة في صورة، وتبيّن أنه يستمتع الأشخاص بمشاهدة معظم الابتسامات، وهذه الحقيقة معروفة لدى القائمين على الإعلانات.

ربما تكون الابتسامات أكثر تعابير الوجه استخفافاً، وهي أكثر تعقيداً مما يظنّ معظم الأشخاص. هناك عشرات الابتسامات، ويختلف بعضها عن بعض في المظهر والرسالة المنقولة، وهناك كثير من العواطف الإيجابية التي تشير إليها الابتسامات؛ كالاستمتاع، والمتعة الجسدية، أو الحسّية، والرضا، واللهو، وهذا غيض من فيض. أيضاً، يبتسم الأشخاص عند شعورهم بالتعاسة، وهذه ليست الابتسامات المزيفة نفسها المستخدمة لإقناع الآخر أنّ المشاعر الإيجابية صادقة عندما لا تكون كذلك، والتي عادة ما تكون لإخفاء تعبير العاطفة السلبية. مؤخراً، وجدنا أنّ الأشخاص يُضللون بهذه الابتسامات المزيفة، ولقد طلبنا إلى مجموعة من الأشخاص مشاهدة ابتسامات طالبات التمريض في تجربتنا، والحكم على ما إذا كانت ابتساماتهن حقيقية (التي بدت في أثناء مشاهدة الممرضات الفيلم السار)، أو مزيفة (التي بدت في أثناء إخفاء العواطف السلبية المستثارة من الفيلم الدموي)، ولم يحقق هؤلاء الأشخاص نتيجة أفضل من المصادفة. أعتقد أنّ المشكلة لم تكن مجرد الإخفاق في معرفة الابتسامة المخادعة، ولكنها تتبع في العموم من عدم فهم كمّ أنواع الابتسامات الموجودة، حيث من الصعب تمييز الابتسامة المزيفة من الصادقة من غير معرفة وجوه الشبه والاختلاف عن باقي صور الابتسامات الرئيسية. وفيما يأتي شرح ثمانية عشر نوعاً مختلفاً من أنواع الابتسامات التي لا تُعدّ أيّ منها ابتسامة مخادعة.

إنَّ العنصر المشترك بين صور الابتسام جميعها هو التغيّر في المظهر الذي تنتجه عضلة الوجنة الرئيسية، وتصل هذه العضلة من أسفل عظام الخدّ وعبر الوجه، لتربط زاويتي

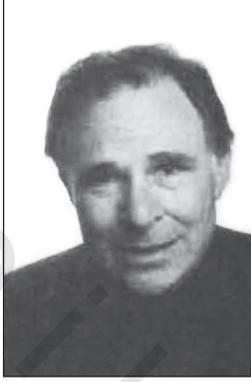
الشفيتين. وعند تقلصها، تجذب عضلة الوجنة الرئيسية زاويتي الشفتين بزاوية نحو عظام الخد، وبحركة قوية، تمط هذه العضلة أيضاً الشفتين، وتجذب الخدين نحو الأعلى، وتجعد الجلد تحت العينين، وتنتج تجاعيد تشبه صورة رجل الغراب خارج زاويتي العينين. (لدى بعض الأشخاص، تجذب هذه العضلة رأس الأنف نحو الأسفل. ولدى آخرين تكون هناك سحبة خفيفة للجلد الموجود قرب الأذنين).

تندمج عضلات أخرى مع عضلة الوجنة الرئيسية لتشكل أنواعاً أخرى من الابتسامات، وتنتج أيضاً بعض مظاهر الابتسام عضلات أخرى، وليس عضلة الوجنة الرئيسية فقط.

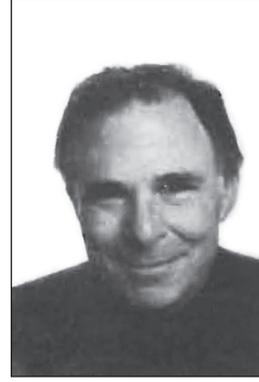
تنتج الحركة البسيطة لعضلة الوجنة الرئيسية الابتسامة المبينة للعواطف الحقيقية، والإيجابية، وغير المُتَكَلِّفة. ولا تتدخل عضلات أخرى من الأجزاء السفلى للوجه في هذه الابتسامة الصادقة. إن الحركة الوحيدة التي قد تظهر على الجزء العلوي من الوجه هي توتر العضلة التي تحيط بالعينين. هذه العضلة، تنتج معظم التغيرات على الجزء العلوي من الوجه، والتي يمكن إنتاجها أيضاً بحركة رفع قوية من عضلة الوجنة الرئيسية؛ مثل رفع الخدين، وتجعيد الجلد تحت العينين، وتجاعيد رجل الغراب. يبين الشكل 5A في الصفحة التالية الابتسامة الصادقة. تدوم الابتسامة الصادقة مدة أطول، وهي أكثر شدة عندما تكون المشاعر الإيجابية متطرفة<sup>(20)</sup>. أعتقد أن الخبرات العاطفية الإيجابية جميعها؛ مثل: الاستمتاع، والسعادة، والارتياح، ومتمتع التحفيز للمسّي أو السمعّي أو البصري، والتسليّة، والرضا، تبديها الابتسامة الصادقة، مع اختلاف في توقيت الحركة وشدتها فقط.

لا علاقة لابتسامة الخوف المبينة في الشكل 5B في الصفحة التالية بالعواطف الإيجابية، ولكن يُخلط بينهما بطريق الخطأ أحياناً، وتنتج ابتسامة الخوف العضلة الضحكيّة التي تجذب زاويتي الشفتين أفقيّاً نحو الأذنين، بحيث تمتد الشفتان على صورة مستطيل. وتأتي كلمة الضحكيّة من الكلمة اللاتينية للضحك. وربما يعزى الالتباس إلى ميل الشفتين نحو الأعلى قليلاً عندما تجذبها العضلة الضحكيّة أفقيّاً فتشبه بذلك نسخة الابتسامة العريضة الصادقة، وفي تعبير الوجه الخائف، يرافق الفم الذي على صورة مستطيل (بوجود ميل في الشفة نحو الأعلى أو عدم وجود ميل) صور الحاجبين والعينين المبينة في الشكل 3B.

تُعدُّ تسمية ابتسامة الازدراء تسمية غير صحيحة؛ لأنَّ هذا التعبير يرتبط بالعاطفة الإيجابية أيضاً، على الرغم من أنها تُفسَّر كذلك عادة.



الشكل 5B: ابتسامة الخوف



الشكل 5A: الابتسامة الصادقة



الشكل 5C: ابتسامة الازدراء

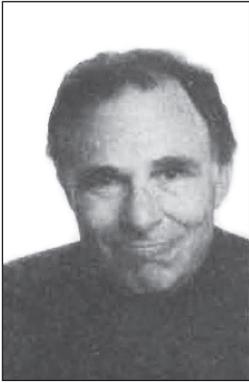
تتطوي نسخة ابتسامة الازدراء المبينة في الشكل 5C على تشديد عضلة زاويتي الشفتين، وانتفاخ في عضلة الزاويتين وحولهما، وعادة ما تكون غمازة (فجوة في الخد)، وإمالة طفيفة نحو الأعلى لزاويتي الشفتين.\* مرة أخرى، إنَّ ما يسبب الارتباك هو إمالة زاويتي الشفتين نحو الأعلى، والتي تعدُّ ميزة مشتركة مع الابتسامة الصادقة، والعنصر المشترك الآخر هو الغمازة، والتي ترافق أحياناً الابتسامة الحقيقية الصادقة. إنَّ الفرق

\* يمكن أن يظهر الازدراء أيضاً بالنسخ أحادية الجانب لهذا التعبير والذي فيه يتم شد أحد زوايا الشفتين ورفعها قليلاً.

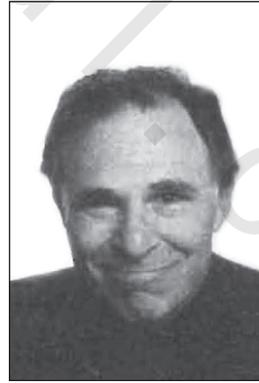
الرئيس بين ابتسامة الازدراء والابتسامة الصادقة هو زاويتا الشفتين المشدودتين، وهما ظاهرتان في الازدراء وغائبتان في الابتسامة الصادقة.

يشعر الشخص فعلياً في الابتسامة الفاترة، بعواطف إيجابية، ولكنه يحاول إظهار أنّ المشاعر أقلّ شدة مما عليه في الواقع، والهدف هو تخفيف تعبير العواطف الإيجابية، لا كبتها، والاحتفاظ بالتعبير، وربما بالتجربة العاطفية ضمن حدود، وقد تنشأ حركات ضغط الشفتين، وزمّ زاويتي الشفتين، ودفع الشفة السفلية نحو الأعلى، أو أيّ تركيبة أخرى بالابتسامة البسيطة. يبين الشكل 5D (انظر الصفحة التالية) ابتسامة بسيطة بحركاتها الثلاث ظاهرة بحركة الابتسامة الصادقة.

أمّا الابتسامة البائسة، فتصاحب العواطف السلبية، وهي ليست محاولة للإخفاء، ولكنها مرارة في النفس تبدو على الوجه، وتعني الابتسامة البائسة عادة أنّ الشخص الذي يبديها معترف بتعاسته، على الأقلّ في الوقت الراهن، وسيبتسم ويتجلّد. لقد رأينا هذه الابتسامة البائسة على وجوه الأشخاص عندما كانوا يجلسون وحدهم في المختبر ويشاهدون أحد الأفلام الدموية، من غير أن يعلموا بوجود آلة تصوير خفية تقوم بتصويرهم، وقد ظهرت في كثير من الأحيان عندما بدأوا بإدراك مدى دموية الأفلام المعروضة.



الشكل 5E: الابتسامة الفاترة



الشكل 5D: الابتسامة البائسة

لقد رأينا أيضاً ابتسامات بائسة على وجوه المرضى المكتئبين علامة على محنتهم، وتكون الابتسامات البائسة غالباً غير متماثلة، وغالباً ما يتم فرضها على التعابير العاطفية السلبية الواضحة، لكنها لا تخفيها، بل تضيف إليها، أو قد تتبع بسرعة تعبيراً عاطفياً سلبياً.

إذا كانت الابتسامة البائسة تحاول السيطرة على تعبير الخوف، أو الغضب، أو الضيق، فقد تظهر الابتسامة البائسة مثل الابتسامة البسيطة، وقد يسهم زَمُّ الشفتين، ودفع الشفة السفلى إلى الأعلى من خلال عضلة الذقن، وزَمُّ زاويتي الشفتين أو خفضهما، في السيطرة على انفجار أحد هذه المشاعر السلبية. والفرق الأساسي بين هذه الصورة من الابتسامة البائسة الظاهرة في الشكل 5E، والابتسامة البسيطة هي غياب الدليل على توتر العضلة حول العينين، وتعدّ حركة تلك العضلة؛ أي جذب الجلد حول العينين وتجميعات رجل الغراب، جزءاً من الابتسامة البسيطة؛ لأنّ الاستمتاع صادق، ولكنه غائب عن الابتسامة البائسة؛ لأنّ الاستمتاع هنا غير موجود. أيضاً، قد تظهر الابتسامة البائسة من خلال الحاجبين والجبهة الاعتراف بوجود العواطف السلبية المحسوسة.

في مزيج العواطف، يشهد الشخص عاطفتين أو أكثر في الوقت نفسه، وتظهر من خلال تعبير الوجه ذاته أيضاً، فضلاً على أنه يمكن أن تمتزج أيّ عاطفة مع أخرى، ونحن هنا مهتمون بمظهر العواطف التي تمتزج عادة مع العواطف الإيجابية فقط؛ فعندما يستمتع الأشخاص بالفضب، يظهر مزيج الغضب الممتع ضيقاً في الشفتين، وأحياناً في رفع الشفة العلوية، إضافة إلى الابتسامة الصادقة، وكذلك مظهر الجزء العلوي للوجه المبين في الشكل 3C. (ويمكن تسمية تلك الابتسامة بالقاسية أو السادية). تندمج الابتسامة الصادقة في تعبير الازدراء الممتع بزَمِّ إحدى زاويتي الشفتين أو كليهما، ويمكن الاستمتاع أيضاً بالحنن والخوف؛ مثل أولئك الذين يصنعون أفلام الرعب المبكية والكتب أيضاً؛ في الحزن الممتع، قد تتجذب زاويتا الشفتين نحو الأسفل إضافة إلى الجذب نحو الأعلى في الابتسامة الصادقة، أو قد تندمج الابتسامة الصادقة مع جزء الوجه العلوي كما في الشكل 3A؛ إذ يُظهر الوجه العلوي من الشكل 3B مزيج الحزن الممتع مع الابتسامة الحقيقية. أو قد تمتزج الابتسامة الحقيقية بالامتداد الأفقي للشفتين. إنّ بعض الخبرات الممتعة هادئة ومطمئنة، ولكن المتعة تختلط أحياناً بالإثارة في الشعور المبهج. في الإثارة الممتعة، يرتفع الجفنان العلويان إضافة إلى الابتسامة الصادقة. ولطالما أظهر الممثل هاربو ماركس ابتسامة الغضب الممتع؛ الابتسامة المثيرة المبتهجة، وذلك في أثناء المزاح. وفي ابتسامة المفاجأة الممتعة، يرتفع الحاجب، ويتدلى الفك، ويرتفع الجفن العلوي، وتظهر الابتسامة الصادقة.

تنطوي ابتسامتان أُخريان على دمج الابتسامة الصادقة مع نظرة معينة؛ ففي الابتسامة الغزلية، يبدي المغازل ابتسامة صادقة في أثناء مواجهته وجه الشخص محطّ الاهتمام، وإشاحته البصر عنه، مدّة من الزمن، ثم اختلاس نظرة طويلة بما يكفي لتتم ملاحظتها في أثناء إشاحة النظرة بعيداً مرّة أخرى.

يكمن أحد العناصر التي جعلت لوحة الموناليزا فريدة في أنّ ليوناردو رسمها وهي على وشك إظهار ابتسامة غزليّة؛ إذ تشيح بوجهها نحو جهة، ولكنها تختلس نظرة عابرة جانبية على موضوع هو محطّ اهتمامها. في الحياة، تعدّ تلك حركة؛ حيث لا يدوم زمن إزاحة الانتباه سوى لحظات. في ابتسامة الإحراج، يُوجّه النظر نحو الأسفل أو إلى الجانب كي لا تلتقي عينا الشخص المُحرَج مع عيني الآخر، وقد يكون هناك جذب لحظّي نحو الأعلى عضلة الذقن الرئيسة (الجلد والعضلة بين الشفة السفلى ورأس الذقن) في أثناء الابتسامة الصادقة. وفي حالة أخرى، يظهر الحرج من خلال الجمع بين الابتسامة البسيطة مع نظرة سفلية أو جانبية.

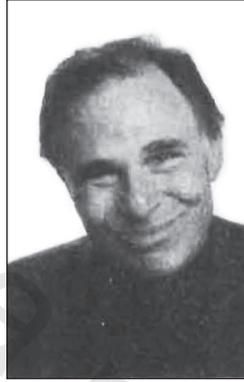
تعدّ ابتسامة تشابلين غير عادية، وتنتجها العضلة التي لا يستطيع معظمنا تحريكها إرادياً. لقد كانت ابتسامة تشابلين هذه، والتي ترتفع زاويتا الشفتين فيها بدرجة أكثر حدّة، مقارنة بارتفاعها في الابتسامة الصادقة، وهي سمة مميزة له، (انظر الشكل 5F في الصفحة التالية) إنها ابتسامة متكبر؛ تبتسم للابتسام.

فيما يأتي ابتسامات أربع، تشترك في المظهر نفسه، ولكنها تؤدي وظائف اجتماعية مختلفة. وفي كلّ منها تُصطنع الابتسامة عن قصد، وغالباً ما تبدي هذه الابتسامات بعض التماثل.

الأولى؛ ابتسامة المؤهل (الاستخفاف)، والتي تبدي الجانب القاسي لرسالة غير سارة أو حرجة، وتجبر عادة الشخص المُستقبل المحيط الابتعاد عن الانتقاد بابتسامة باهتة (صفراء)، في المقابل. وتُصطنع هذه الابتسامة عمداً بسرعة وبصورة مفاجئة، ويمكن زمّ الشفة، وأحياناً تدفع الشفة السفلى قليلاً إلى الأعلى للحظة، وتتميز ابتسامة الاستخفاف

بهزّة رأس في العادة، وميل بسيط للرأس نحو الأسفل ولأحد الجوانب كي ينظر المبتسمُ بدويّة إلى الشخص المُنتقد.

الثانية: **الابتسامة المذعنة**، تشير إلى أنّ أمراً بغيضاً يصعب قبوله سيُقبل على مضض. ولا يعتقد أنّ من يبدي هذه الابتسامة يكون سعيداً، ولكنها تبين أنّ الشخص يتقبّل مصيراً غير مرغوب فيه، وهي تشبه ابتسامة (الاستخفاف) المؤهل من غير وضع الرأس.



الشكل 5F: ابتسامة تشابلين

وبدلاً من ذلك، قد يُرفع الحاجبان، في ابتسامة تشابلين في الشكل 5F، للحظة، وقد تسمع تهيدة، أو تظهر رفعة كتف.

الثالثة: **ابتسامة التنسيق**، تنظم التبادل بين شخصين أو أكثر، وهي ابتسامة مهذبة، وتعاونية، تعمل على إظهار الاتفاق السلس، والفهم، ونية التنفيذ، أو الإقرار بأداء الآخر المناسب، وتنطوي على ابتسامة خفيفة غير متماثلة في العادة، من غير حركة للعضلتين المحيظتين بالعينين.

الرابعة: **ابتسامة استجابة المستمع**، والتي تعدّ ابتسامة تنسيق خاصة، وتُستخدم عند الاستماع لجعل الشخص المتحدث يعرف أنّ حديثه مفهوم، وأنّ لا حاجة إلى التكرار أو إعادة الصياغة، وهي مرادفة لـ (mm-hmm)، وهي أصوات معبرة عن الموافقة، أو (حسناً)، وغالباً ما ترافقها هزّة رأس، ولا يعتقد المتحدث أنّ المستمع سعيد، ولكنه يفسّر ابتسامته على أنها تشجعه على متابعة الحديث. يمكن أن تحلّ مكان أيّ من هذه الابتسامات الأربع؛

الاستخفاف، والإذعان، والتنسيق واستجابة المستمع ابتسامةً محسوسة حقيقية. أحياناً، قد يبدي الشخص الذي يستمتع بنقل رسالة استخفاف، والذي يتمتع بالإذعان، والمستمع، أو المنسق، ابتسامات صادقة بدلاً من الابتسامات غير الصادقة التي وصفتها.

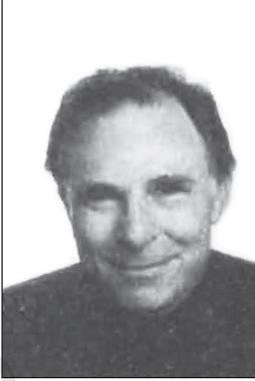
دعونا نصف الآن الابتسامة الزائفة؛ إنها تهدف إلى خداع شخص آخر أنّها عاطفة صادقة، في حين، ليست كذلك، ويستعملها بوصفها فتاعاً يخفي وراءه عواطف سلبية. وعلى عكس الابتسامة البائسة التي تظهر مرارة النفس، تحاول الابتسامة المزيفة تضليل الآخر كي يعتقد أنّ المبتسم يمتلك شعوراً إيجابياً، وهذه هي الابتسامة الوحيدة الكاذبة.

هناك عدد من القرائن للتمييز بين الابتسامة المزيفة والصادقة التي تقوم بها:

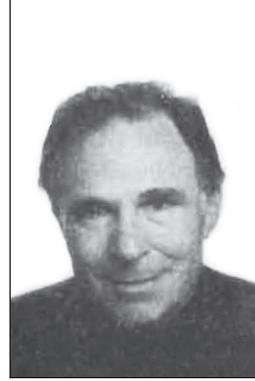
الابتسامات المزيفة غير متماثلة بدرجة أكبر مقارنة بالابتسامات الصادقة.

لن ترافق الابتسامة المزيفة حركات العضلات المحيطة بالعينين؛ لذا، لا تظهر الابتسامة المزيفة بدرجة خفيفة، إلى متوسطة، خديين مرتفعين، وجلداً مشدوداً تحت العينين، وتجعّدات رجل الغراب، أو انخفاضاً بسيطاً في جفني العينين، مما يظهر عند الابتسامة الصادقة الخفيفة إلى المتوسطة، ومثالها يتضح في الشكل 6؛ مقارنة مع الشكل 5A، إذا كان حجم الابتسامة أكبر، فإنّ حركة الابتسام نفسها (العضلة الوجنية الرئيسية) ترفع الخديين، وتجمّع الجلد تحت العينين، وتنتج تجعيدات رجل الغراب، ولكنها لن تخفض الحاجبين. فإذا نظرت في المرأة، وتدرّجت بابتسامة أكبر فأكبر ببطء، فسوف تلاحظ أنه بازدياد حجم الابتسامة يرتفع الخدان، وتظهر تجاعيد رجل الغراب، ولكنّ الحاجبين لا ينجذبان نحو الأسفل ما لم تتحرك عضلتا العينين أيضاً. إنّ عدم مشاركة الحاجبين قرينة خفية، ولكنها حاسمة لتمييز الابتسامة الصادقة من المزيفة عندما تكون الابتسامة عريضة.

قد يظهر وقت اختفاء الابتسامة المزيفة غير ملائم على نحو ملحوظ؛ فقد تتلاشى الابتسامة عن الوجه فجأة، أو قد يكون هناك غياب متدرّج تتضاءل فيه الابتسامة، ثم يُحتفظ بها قبل غيابها، أو المرور بتناقص آخر متدرّج في أثناء اختفائها عن الوجه.



الشكل 5A: الابتسامة الصادقة



الشكل 6: الابتسامة المزيفة

عندما تُستخدم الابتسامة المزيفة قناعاً فإنها ستغطي حركات جزء الوجه السفلي والجفنين السفليين فقط، وربما تستمر العضلات الموثوقة التي تظهر على الجبهة للإشارة إلى الخوف أو الكرب بالظهور. وحتى في جزء الوجه السفلي، قد لا تنجح الابتسامة المزيفة في إخفاء علامات العاطفة التي تنوي إخفاءها كلياً، وبدلاً من ذلك، قد يكون هناك دمج للعناصر كي يستمر بعض الأثر بالظهور كما لو كانت مزيجاً عاطفياً.

لقد كان اختبارنا الأول لهذه الأفكار هو قياس تعابير الابتسام التي أظهرتها طالبات التمريض في التجربة السابقة، فإذا كانت أفكارنا بشأن الابتسام صحيحة، فينبغي للطالبات إظهار الابتسامة الحقيقية في المقابلة الصادقة؛ أي عندما شاهدن الفيلم السارّ، ووصفن مشاعرهنّ بصدق. وكان ينبغي لهنّ إظهار ابتسامات مزيفة في المقابلة الخادعة؛ عندما شاهدن الفيلم غير السارّ، ولكنهنّ حاولنّ الظهور كما لو أنهنّ يشاهدن فيلماً سارّاً آخر. لقد قسنا علامتين على تزييف الابتسام؛ غياب وجود عضلات حول العينين، ووجود علامات الاشمئزاز (لتجعيد الأنف)، أو الازدراء بزّم زاويتي الشفة.

لقد كانت النتائج كما توقعتم تماماً، وقوية أيضاً؛ ففي المقابلة الصادقة، كانت الابتسامات الحقيقية أكثر من المزيفة، ولم تسرّب الابتسامات الاشمئزاز أو الازدراء، وأما في المقابلة الخادعة فقد ظهرت ابتسامات التسرّب، وكانت الابتسامات المزيفة أكثر من الحقيقية. لقد كنت مندهشاً لنجاح هاتين القرينتين، خصوصاً أنني أعلم أنّ الأشخاص لا يلقون لها بالأدى حكمهم على الآخرين. لقد عرضنا في دراسات سابقة أشرطة الفيديو

نفسها لتعايير الوجه، وطلبنا إلى بعض الأشخاص الحكم في حال كذبت الممرضات، فلم يحرزوا نتائج تفوق المصادفة. فهل نحن نقيس شيئاً مخفياً تماماً لا يُرى، أم أنّ الأشخاص لا يعلمون عمّا يبحثون؟ من خلال تعليم الأشخاص كيفية التعرف إلى وقت ظهور حركة عضلة العينين، وموعد حدوث ابتسامات التسرب، ستكشف الدراسة القادمة ما إذا كانوا أكثر قدرة على اكتشاف الكذب بدقة أكبر.

يحتوي الوجه على قرائن مختلفة على الخداع: التعابير الدقيقة، والتعابير المُثَبِّطة، وتسرب عضلات الوجه الموثوقة، والغمز، وتمدد البؤبؤ، والدمع، والتورّد، والشحوب، وعدم التماثل، وأخطاء التوقيت، وأخطاء الموضع، والابتسامات المزيفة. وتشير بعض هذه القرائن إلى شيء مخفيّ، ولكنها لا تدل على ماهيته. في حين، تصف أخرى أنّ تعبيراً ما مزيفٌ.

تتنوّع علامات الخداع في الوجه، مثلها مثل قرائن الخداع في الكلمات، والصوت، والجسم التي سبق ذكرها في الفصل السابق، من حيث دقة المعلومات التي تنقلها، وتنقل بعض قرائن الخداع العاطفة الحقيقية تماماً، على الرّغم من محاولة الكاذب إخفاء تلك المشاعر، وتكشف قرائن خداع أخرى ما إذا كانت العاطفة إيجابية أم سلبية، ولا تكشف نوع المشاعر السلبية أو الإيجابية التي يحسّ بها الكاذب.

ولكن تظل القرائن الأخرى غير متميزة. وتكشف شعور الكاذب ببعض العاطفة، ولكنها لا تكشف ما إذا كانت المشاعر المخفية إيجابية أم سلبية. وقد يكون ذلك كافياً. قد تشير معرفة كون بعض العواطف حقيقية أحياناً إلى أنّ الشخص يكذب، وإذا كان هذا هو الحال، باستثناء الكذب، فلا يحتمل أن يشعر الشخص بالعاطفة أبداً. وفي أحيان أخرى، لا يمكن كشف الكذب من غير وجود معلومات دقيقة أكثر عن العاطفة المخفية الحقيقية. ويعتمد ذلك على الكذبة، والعبارات التي ينطقها الشخص المشتبه به في الكذب، والحالة، والتفسيرات البديلة المتوافرة، بصرف النظر عن الكذب لتفسير لماذا يمكن أن تكون العاطفة حقيقية ولكنها مخفية.

من المهم أن يتذكر مكتشف الكذب؛ أيّ القرائن تنقل معلومات محدّدة، وأيّها تنقل معلومات عامة فقط. يلخص الجدولان 1 و2 في الملحق قرائن الخداع المذكورة في هذا الفصل والذي سبقه جميعها. ويعرض الجدول 3 قرائن التزييف.



obeyikanda.com